يتقلب تحته ابنها البكر متألما وليس لديها ما تخفف به آلامه سوى عطفها الذى وهبته له بدون تقتير ، جثت الأم بجانبه وسألته عن حاله وعينيها مغرورقتان بالدموع فتأوه بدلا أن يبتسم وطلب اليها أن تمنع جلبة اخوته

أسكتت الام أولادها ورجعت الى جانبه فشاركته فى ذلك السكون العميق الذى يخيم على البشرية فى سويعاتها الرهيبة الاخيرة

فاضت الروح المتألمة الى خالقها وسمعت الام رفرفة أجنحة الملائكة التى حملت فلذة كبدها من عالم الاباطيل الى عالم النور والحياة فلم تشأ أن تزعجها فى رحيلها بالصياح بل قيدت عداد دموعها الحرساء قسوة الانسان على أخيه الانسان !!

فلقد استغاثت المسكينة بالكثيرين وتوسلت الى أخوتها فى الانسانية كن تقول « انى من لحمكم ودمكم ـ فدخلقنا إله واحد فساعدونى لاحيى ولدى » فاطلها الواحد بعد الآخر وأبوا مساعدتها قائلين « ما أنت منا ولا نعرفك » ولكن أبت الطبيعة الا أن تبرهن لهم أن تلك الارملة أختهم وأن ولدها ولدهم فانتشرت عدوى مرضه بينهم وقتلت من جيرانه العدد الكثير

أملى عبد المسيح

****OOOO****

عناية الهية أو صدفة عمياء

(نقلا عن مجلة النسر المصرى)

كان فولتير يقول أن الذى يتأمل ما فى المجتمع من سرور وشقاء وبلاء لايستطيع وبه مسكة من العقل أن ينسب هذا الى العناية الالهية ، لانها

الخير المحض ، وفي عرفه ان الناس هم بلاء الناس ، يعملون بما فيهم من جهل وغرائز فاسدة غير مهذبة ما يضرون به أنفسهم ويضر به بعضهم البعض ، أما الله فهو الحافظ لكيان الكون ونظامه العام ، ترك الناس أحراراً ليكون عقابهم عن عملهم عادلا .

ويقول غيره هو ان الله الذي يحرك أهواء النفوس وهو الذي يعمل وحده وبارادته ما يحدثه الانسان يصلح ويفسد كما يحيى ويميت ولا يملك ابن آدم لنفسه نفعاً أو ضراً أو يشاء الله الذي بيده الحركة والسكون .

وهنا من يقول أن لا عناية إلهية ولا ارادة شخصية انما هي الصدفة العمياء ، يستشهدون لذلك بما يرون في حوادث الحياة من الصروف والمفاجآت التي تحار في تعليلها العقول

حدث منذ شهرين تقريباً أن والدة أصيبت بمرض حارت في طبه نطس الاطباء ، لزمت السيدة الفراش اذ اشتدت العلة على الرغم من الادواء المختلفة التي كانت تتناولها بين مقوى مزعوم به الشفاء يذهب على غير جدوى لا تجني منه المريضة الا الغضاضة والالم وازدياد الضعف

سرى اليأس الى نفس المسكينة فكانت تقطع كل يوم خيط من خيوط الامل في الحياة وسرى اليأس في نفوس بنيها من حياة والدتهم حتى انهم كانوا يرونها كل يوم تبعد عنهم مرحلة انتشرت الكآبة في ذلك البيت ولم يبق به أثر للرجاء وسكنت الحركة وانخفتت الاصوات فلا مشى الا على أطراف الاصابع ولا كلام الا همساً

انقطع العواد بأسا ولم يكن يسمح للاهل بالدخول اليها الا ما كان

ضرورياً جداً وأوشكت ساعة الفراق تدق دقتها المشئومة

جرى ما يحدث عادة فى مثل هذا الظرف فتور فى الهمة منشأه القنوط واستسلام للقدر منشأه العجز الانسانى حدثت هذه الحالة فتولى الابناء عن والدتهم تعباً فطلبوا الراحة فى النوم. غفا الجميع فسرعان ما انقلبت الغفوة سباتاً عميقاً. ولكن حركة غريبة حدثت فى غرفة المريضة وهى انها أحست المريضة بوخز يشبه وخز الابرة شعرت على أثرها بتنبه لم تكن تشعر به من قبل فكان أول خاطر مر بمخيلتها ان احدى بناتها تركت ابرة فى فراشها سهوا.

نادت الوالدة ابنتها مؤنبة ما هذا يا أمينة كيف تركت الابرة فى فراشى ولكن الفتاة كانت غارقة فى نومها فلم تسمع. عرض للوالدة أن تبحث عن الابرة بنفسها ولكنها كانت تعلم أن لا قدرة لها على ذلك على أن خوفها من وخزة ثانية دعاها الى محاولة ذلك فاحست من نفسها بالقدرة وان قواها تطاوعها. حركت يدها فتحركت قلبت جسمها الى موضع الوخزة فتحرك لم تجد الابرة الموهومة حاولت الجلوس لتتمكن من البحث فاذا بها تفعل بلا عناء أطمعتها هذه الحالة الجديدة بالنهوض انزلت قدمها الى ارض الغرفة فلم تجد فى ذلك مشقة اجترأت على السير فمشت الى المقعد غير مضطربة ولا مستضعفة، تمشى الامل فى صدرها وأوشكت تسير الى بناتها توقظهن من نومهن تبشرهن بشفائها ولكن بقية من الوهم أقعدتها واكتفت بان صفقت استيقظت الفتات واسرعن اليها فاذا بهن يرينها جالسة على المقعد والبشر ناطق على وجهها فاختلجت قلوبهن فى صدورهن اختلاجا مبهما وبعد ان خفت وطأة الدهشة تشجعن فسألنها

كيف انتقلت الى هنا ونحن نعرفك لا تستطيعين حراكا . فقالت بين الابتسامة والتفكر غير المدرك تركت يا أمينة ابرة فى فراشى وخزتنى وخزاً اليما حاولت البحث عنها فلم أجدها قمت على غير وعى فالفيتنى قادرة على القيام وكأنى أشعر انى قد شفيت او انى على الاقل احسن حالا .

اسرعت الفتاة تعاونها شقيقاتها الى الفراش وقلبنه فاذا هى عقرب سامة . جزعت الفتيات واوشك الوهم يعيد السيدة الى قلق مخيف وبينما هؤلاء فى حيرة مما يرين اذا بالطبيب داخلا ومعه ممرضه يحمل حقيبة فكان أول ما أخذ عينه مرأى السيدة جالسة جلسة السليمة المعافاة نظر نظرة حائر بينها وبين فتياتها متسائلا . فما زدن ان اشرن الى العقرب فابتسم ابتسامة المستبشر الفرح ونهض الى السيدة وهو يقول اهنىء سيدتى بالسلامة ـ وكيف ذلك أيها الدكتور؟ لقد كانت السيدة فى حالة تسمم ولما لم ينجع فيها دواء رأيت وزملائى ان لم يبق لدينا من حيلة نحتالها الا أن نحقن السيدة بقدر من السليمانى (السم) وانما كنا فى حيرة من جراء ما يلزم لذلك . واسرع الى حقيبته اخرج منها الحقنة واشار الى المرض وقد جئت به عمداً ليعاونى اذا اقتضت الحال . ولا أدرى اذا كانت هى العناية الالهية او الصدفة العمياء التى قادت هذا العقرب الى فراشك وكان الوخزة التى وخزتك انفذت الى جسمك من السم ما يلزم لشفائك .

حمدت السيدة الله على عنايته بها وخرج الطبيب يقلب يديه حيرة وتعجباً .